الفنانة الحائرة !

كانت حياتك لحنا مبللا بالدموع
فصار موتك حزنا لهيبه فى ضلوعى
أتى الربيع فغنى بكل لحن بديع
فاهتز قلبى وأنا وهام بين الربوع
صبا إليك وحنا وأنت ... روح الربيع

الشاعر الحائر

جنِّبوا قلبى على الحب الملاما ... هل علمتم فى هوى قلبى أثاما ؟
واسمعونى حين يشدو معزفى ... لحن . . . قلبى ثم يرتد حطاما !
واعذرونى حين أرجو مُكرَها ... أن أرى نفسى - كما كانت - رَغاما
خيَّم اليأس بقلبى والأسى ... فإلامَ الصبر يا قلبى . . . إلاما ؟
ومضى الموت « بآمالى » ، فما ... أرهبُ الموت ، وإن كان زؤاما
ليت شعرى كيف أحيا بعدها ؟ ... ولمن أبعث شعرى ؟ وعلاما ؟
إنها كانت لنفسى بهجة ... إنها كانت على قلبى سلاما
كنت أهواها بقلب يائسٍ ... كوكباً حلَّ سكانا لن يُراما

زهرةً يملأ قلبى عطرها ... وهْى لا تألو عن العين اكتتاما
كنت أهواها ، وأخفى ألمى ... وأريه للخلين ابتساما
ولقد هز حياتى أن أرى ... زهرة الأيام ترتاد الرجاما
أودعوها فى مكان موحش ... طنَّب الموت حواليه الخياما
حيث لا أنداءَ تنهلُّ بها ... ومن الأنداء ما بل الأُواما
حيث لا أضواءَ يحملن لها ... قبلات الفجر شوقا وهياما
حيث لا أنسامَ تهفو نحوها ... فتريها الحب لثما والتزاما
حيث لا أطيارَ تشدو حولها ... فتحيِّيها ، وتهديها السلاما
إيه يا دهر أحقٌّ ما نرى ؟ ... أم ترانا أيها الدهر نياما ؟
ليته حلم ، فنَلقى صحوة ... تطرد السُّحْب ، وتجتاح الغماما
آه ما أقساك يا دهر ! وما ... أضعف الناس ! وما أقوى الحِماما !
قد عهدناك خؤونا غادِراً ... تنقض العهد ، ولا ترعى الذماما
أنت لم ترحم قلوبا أترعت ... كأسَها الأيامُ حزنا وسقاما
روَّعتها بغتة النعْى كما ... روَّع الصائد فى البيد النعاما
وتولاَّها ذهول مُطْبِق ... لم تُفق من هَوْله إلا لِماما
أنت لم تعطف على قمرية ... تملأ الأيام شدواً وبُغاما (كذا)
كلما غنّت على أفنانها ... رفرف القلب حواليها وحاما
قلبها كان جراحا لم تزل ... من يد الأيام تبغى الالتئاما
صوتها كان نُواحا ! حَسْبُه ... أنه قد علَّم النَّوْحَ الحَماما
شاعت الأحزان فيه مثلما ... شاع نَفْح الزهر فى ريح الخُزامى
واستحال القلب فيه نغما ... يستثير الحزن ، والدمع السِّجاما

كلما اهتز ترامت نحوه ... مهجٌ ثكلى ، وأرواحٌ أيامى
ليت شعرى كيف وافاها الردى ... دون أن يخشى من الدنيا ملاما ؟
ليته لم يرها ، أو ليته ... إذ رآها كان عنها يتعامى
غرقت فى ساعة مشئومة ... كان فيها الشر قد ألقى اللثاما
آه يا دهر لعمر موحش ... ولأيام كأيام اليتامى !
ما الذى ضرك لو أبقيتها ... تسعد الكون الحزين المستضاما ؟
وترينا الفن قلبا نابضا ... يبعث اللحن صفاء وانسجاما
وتغنينا غناء ساحرا ... يملأ الأرواح صفوا ووئاما

هل درى القبر الذى حلت به ... أىّ قلب قد ثوى فيه وناما ؟
هل درى أى شباب يانع ... وجمال رائع ضمّ غراما ؟
هل درى أى حياة حرة ... أصبح الموت لها قيدا لِزاما ؟
إيه يا قمرية النيل التى ... طالما غنّى بها النيل وهاما
وسقاها الحب فى خمرته ... فسقته فى أغانيها المداما
وتجلت فى رُباه ، فهفا ... نحوها الموج مشوقا مستهاما
أين فن كان فى الدنيا سنًا ... بينما كان بجنبيك ضراما ؟
أودعوه حفرة مظلمة ! ... ليت قلبى كان للفن مُقاما
أين تغريدك ؟ قد أمسى صدًى ... باكيا . . . فى كل أفق يترامى !
أين قيثارك . . . قيثار الهوى ؟ ... عربد الدهر ، فألقاه حطاما !
ولياليك التى غنّت بها ... مهجٌ نالت من الفن المراما
وروتها النيل فنًّا رائعا ... وشدَتْها الطير لحنا لا يُسامى

ليتها كانت علينا سرمدا ... فسهرناها ، وأنكرنا المناما
ذهبت تلك الليالى مثلما ... ذهب الزهر مع الريح ركاما
فانتهى السامر من أفراحه ... وانطوى الأنس بساطاً ونَدامى
ويدا الصبح حزينا شاحبا ... فكأن الصبح قد حال ظلاما !

رُبَّ شاكٍ ظلَّ يقضى عمره ... يعبر السهل ، ويجتاز الأكاما
لا يذوق الأمن إلا خلسة ... أو يرى طيف الكرى إلا لماما
يرجع السَّفْر إلى أوطانهم ... وهو يرتاد النَّوى عاما فعاما
أذن الله ، فألقى عبئه ... ودعا الموتُ ، فلبَّى وأقاما
فاهدئى أيتها النفس التى ... لم تكن تلقى هدوءًا أو سلاما
وأقيمى فى ثرى مصر ، فما ... كنت تبغين سوى مصر مُقاما
وثرى مصر على طول المدى ... كل ما فيه عزيز لن يُضاما
جاورى يا أخت فى هذا الثرى ... إخوة شمَّا ، وأحبابا كراما
لم يكن عمرك إلا غنوة ... تبعث الشوق ، وتهتاج الغراما
كنت تبكين إذا غنَّيتها ! ... أترى صيغت دموعا أو كلاما ؟
لم يكن عيشك إلا قصة ... صاغها الله « غراما وانتقاماً »
أنت مثَّلت لنا أحداثها ... فاذا الموت لها كان ختاما !

ليت شعرى — والأسى مشترك ... لم يَدعْ مصر ، ولم يُخْلِ الشآما —
من أعزى ؟ كلُّ روح إن رأى ... مطلع الالهام والوحى ترامى
صيغ من نور ، وفى أعماقه ... جذوة تحيا مدى الدهر اضطراما

يأخذ الفن سبيلا للعُلا ويراه — إن دعا المجدُ — إماما
ويرى الأحلام دنياه التى طار فى أجوائها العليا وهاما
هى من أشواقه منسوجة راحة كبرى وأمْنا واعتصاما

نَضَّر الله ضريحا قد حوى درة كانت على التُّرْب حراما
وسقى البهجةَ ما قد حفَّها فغدا بردا عليها وسلاما

ابراهيم محمد نجا